الإمام الحسين ودوره الإيماني:

كانت هذه هي التغيرات التي ظهرت بانقلاب الخلافة الإسلامية ملكا عضوضا، ولا يستطيع أحد أن ينكر أن ولاية عهد يزيد كانت بداية هذه التغيرات. كما لا يستطيع أن ينكر أن جميع المفاسد التي ذكرناها آنفا إنما وجدت في النظام الملكي بعد مدة وجيزة من هذه البداية.

ومع أن هذه المفاسد لم تكن قد ظهرت بتمامها وكمالها حين اتخذت هذه الخطوة (ولاية عهد يزيد) إلا أن كل صاحب بصيرة كان بوسعه أن يعرف أن هذه المفاسد كلها نتائج حتمية لهذه الخطوة، وأنها ستقضي على جميع الإصلاحات التي أوجدها الإسلام وجاء بها في نظام السياسة والدولة. لهذا لم يستطع الإمام الحسين على ذلك صبرا، وقرر أن يتحمل أسوأ النتائج التي قد تنتج من جراء الثورة على حكومة راسخة مستتبة ويخاطر بمحاولة وقف هذا التبديل..

أما مصير هذه المحاولة فالكل يعرفه، لكن الإمام بنزوله إلى هذا الخطر العظيم، وتحمل نتائج هذا السلوك الرجولي المؤمن أثبت أن الخصائص الأساسية للدولة الإسلامية هي رأس مال الأمة الإسلامية الذي إن ضحى المؤمن برقبته وأسرته وأهله وعياله في سبيل الحفاظ عليه لا يكون قد عقد صفقة خاسرة. وأن المؤمن إذا ضحى بكل ما يملك في سبيل وقف التغيرات التي ذكرناها آنفا، وهي الآفة العظمى للدين والملة، فلا ينبغي له أن يأسف على ذلك قط. وليستحقر هذا من شاء، وليسمه عملا سياسيا، لكنه كان في عين الحسين بن علي عملا دينيا خالصا، ولهذا اعتبر التضحية بالروح من أجله شهادة، فاسترخص روحه وضحى بها في سبيله.

أ.د. لالة افتخاري
أستاذة جامعية - إيران

دراسات ومقالات

الفكر المهدوي والوحدة الاسلامية

الفكر المهدوي هو التوجه البشري نحو الموعود. وإن الايمان بالمنقذ والمنجي وفكرة المجتمع الهادف والمدينة الفاضلة البشرية لها جذور فطرية في الانسان. وكما نعلم أن الكثير من الظواهر تكون جذوراً فطرية في وجود الانسان وتتبلور هذه الجذور على اساس من الرغبات الفطرية للفرد. ويمكن ملاحظة هذا الشيء في الشؤون الفردية والاجتماعية للانسان. الفكرة المهدوية هي كذلك من الشؤون التي لها جذور فطرية وإنها متلاحمة مع الرغبات والميول الداخلية للفرد.

١- الجذور الفطرية للفكرة المهدوية:

وتنشأ نتيجة العوامل التالية:

الف- الانسان هو كائن اجتماعي وبالنظر الى فطرته وحاجاته يرغب في العيش بشكل جماعي: عاش الانسان منذ بداية حياته حياة جماعية وطبقاً للتعبير الديني كان يعيش في امة واحدة «كان الناس امة واحدة» [١]. وبالرغم من وجود العوامل المختلفة تعرضت الوحدة الجماعية للإنسان إلى مخاطر وادت إلى حصول الافتراق والتباعد بين

من الزمن الازدهار حيث سيوجد للإنسان ما يمكن أن يتيسر له»[٤]. إن القاء نظرة عابرة على عقائد مختلف الشعوب التي حكمت في مصر القديمة والهند والصين وايران واليونان والامم القاطنة في اوروبا الوسطى وامريكا اللاتينية وباقي نقاط العالم توضح لنا بأن تلك الامم بالرغم من وجود الاختلاف في آرائها وعقائدها كانت في انتظار «المصلح العالمي» و«المنقذ الكبير» لذا فإن فكرة المهدوية والتوجه نحو المنقذ هي فكرة مشتركة بين جميع البشر.

٤- الفكرة المهدوية فكرة موجودة بين الاديان؛

لقد بشّرت المدارس الفكرية ومختلف الاديان السماوية بالمهدي المنتظر، وبناء على المقتضيات الثقافية كانت في انتظار المهدي المنتظر وبشرت بذلك. فهذه البشرى الموجودة في الاديان التوحيدية كان لها عمق ومساحة اكبر في تعاليم الانبياء العظام.

و كان ظهور المنقذ والقائم بالعدل على الصعيد العالمي في افكارهم واديانهم يشكل فلسفة لتحقيق الاهداف الانسانية والالهية وايجادهم للمدينة الفاضلة ومستقبل هادف وواعد للبشر.

وكذلك اعتبر الايمان بآخر الزمان او «فتوريسم» والانتظار لظهور المنقذ والمنجي في الاديان السماوية كالديانة اليهودية والمسيحية والاديان الاخرى اصلاً ومبدأ مسلّماً به، وتم عرضه في افكارهم وبحوثهم النظرية، وبات يشكل مصدراً لايجاد القاسم المشترك بين الاديان. كما اشير في الديانة اليهودية والاسفار والتوراة مرات عديدة إلى الموعود. وهكذا الحال في الديانة المسيحية وفي انجيل متى ولوقا وبرنابا ومكاشفات يوحنا تلاحظ اشارات كثيرة بشأن الموعود والمنقذ في آخر الزمان. وجاء في مزامير الزبور بما معناه: «اما المنتظرون لله، سيكونوا الوارثين للارض ... وستكون الارض ارثهم دائماً وطوال الزمن »[٥].

أو ما اشارت به التوراة بما معناه: «سيحكم المساكين بالعدل وسيحكم للمظلومين في الارض بالاستقامة ...»[٦].

وجاء في الانجيل بما معناه: «شدوا احزمتكم وأضيئوا مصابيحكم وكونوا كالذين يكونوا في انتظار مولاهم ... »[٧].

فعلى اساس هذه البشارات يتفاوت الشعور بظهور الموعود في آخر الزمان في تاريخ الديانات اليهودية والمسيحية. كما لوحظ في تاريخ بني اسرائيل بما معناه: ان الذين يستغلون بشكل سيّئ هذا الشيء ونهضوا باعتبارهم الموعود لليهود، وقاموا بخداع بعض المجموعات. او في المسيحية ظهرت فكرة الانتظار وبعد السيد المسيح (ع) كان المسيحيون في انتظار دائم لظهور السيد المسيح وكانت المشاعر والهيجان لظهور ذلك المنجي عند اقتراب الالفية الثانية للميلاد تعكس هذا الشيء.

فعليه إن اتباع الاديان والمذاهب المختلفة يؤمنون بظهور مصلح سماوي كبير في نهاية هذا العالم. بالرغم من وجود اختلاف في وجهات النظر حول اسم ذلك المصلح. فالبعض يعتبره «المصلح العالمي» والبعض يسميه «المصلح الغيبي» والبعض يعتبره «المنقذ الكبير» او «المنجي الاعظم» او يسميه المسلمون «المهدي المنتظر» و«المهدي الموعود» لكن الشيء المهم هو اتفاق وجهات نظرهم على الاوصاف الكلية والبرامج الاصلاحية وتشكيل الحكومة الموحدة العالمية على اساس من العدالة والحرية التي يأتي بها في آخر الزمان والنتيجة هي أن الفكرة المهدوية موجودة في كافة الاديان وهي امر مشترك بين الاديان السماوية.

٥- الفكرة المهدوية نظرية إسلامية مشتركة ومتفق عليها:

المهدوية باعتبارها موضوعاً دينياً مشتركاً امتدت جذوره في الدين الاسلامي، وتحول إلى أساس وعنصر مشترك بين مختلف النحل الفكرية والمذاهب الاسلامية. وبعبارة اخرى إن الفكرة المهدوية والتوجه نحو المنجي من القواسم المشتركة الموجودة بين مختلف الاديان، ومن جانب آخر فإن هذه الفكرة هي من المشتركات ايضاً بين المذاهب الاسلامية، والدليل على ذلك يكمن في خاتمية الديانة الاسلامية. فالاسلام هو آخر دين جامع وكامل سماوي، والنتيجة المتكاملة لكافة الاديان وبشكل طبيعي فإنّ

النص الصريح للقرآن الكريم ملكاً لعباد الله الصالحين. وسيكون زمن تحقيق هذا الوعد الالهي على يد الامام المهدي المنتظر (عج).

٣- محو الظالمين والوراثة والخلافة للصالحين:

أ- (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ....)[١٢].

تتحدث هذه الآية الكريمة عن خلافة المهدي الموعود على الارض والبشارة بظهور المنقذين والصالحين، وطبقاً للروايات سيكون المهدي المنتظر مظهراً للبشارة لأهل الايمان والصالحين وانتصارهم.

ب- (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) [١٣].

إن ظهور المهدي المنتظر قائم على المستضعفين والتمهيد لامامتهم واقتدارهم في الارض.

يقول ابي الوريد: «يقول بعض علماء اهل السنة إن هذه الآية هي اشارة لذلك الامام الذي سيملك الارض ويسيطر على الدول».

٤- المستقبل السعيد للبشرية:

(قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) [١٤].

تؤكد جميع الآيات المذكورة على مبدأين وهما «الوراثة للأرض والقيادة الصالحة في مستقبل البشرية». وبالنظر إلى احاديث اهل السنة والشيعة الواردة حول هذا الموضوع فانها تنطبق على المجتمع المهدوي والمهدي المنتظر.

المشتركات المهدوية في السنة والروايات:

كما أشرنا سلفاً وردت في المصادر الشيعية والسنية روايات كثيرة حول الفكرة

المهدوية، وسيدنا المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف. وقد نقل ما يزيد عن ٥٠ شخصاً الروايات عن الرسول الكريم (ص) وفي هذا المجال نقل عن علماء اهل السنة الاحاديث المهدوية بشكل مجمل او تفصيلي ويمكن أن نشير إلى الروايات التي اوردها البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابو داود وابن ماجة. البعض من الباحثين قد جمع ١٩٤١ حديثاً دون تكرار عن المعصومين و٥٦٠ حديثاً عن الرسول الكريم. وفي الفترة الأخيرة قدم آية الله صافي في منتخب الأثر ٦٢٠٧ أحاديث مع ذكر مصادرها من ١٤ كتاباً معتبراً من الشيعة والسنة [١٥].

محمد بن حسين الآبري الشافعي يقول في كتاب مناقب الشافعي ما حاصله: «ان الاخبار التي بشر بها رسول الله (ص) بمجيء المهدي بالنظر إلى كثرة مخبريها ورواتها قد بلغت حد التواتر».

ومن جانب آخر تشير دراسة الروايات المهدوية إلى ان هذه الروايات تقسّم إلى اربعة اقسام على النحو التالي:

اولاً- الروايات التفسيرية: وهي تشمل الأحاديث المنقولة لصلتها بالقرآن الكريم وقاموا بتطبيقها على موضوع المهدوية.

ثانياً- الروايات الاخبارية: وهي تشمل الاحاديث التي تخبر عن المستقبل، كوقوع الغيبة وعلائم الظهور وفترة حكومة صاحب الزمان (عج).

ثالثاً- الروايات التبيينية: وهي الروايات التي تبين دلائل واسباب الغيبة واهمية الانتظار وواجبات المنتظرين وامثال ذلك.

رابعاً- الروايات التأريخية: وهي الروايات التي تروي الاخبار عن ولادة المهدي المنتظر «عج» ومعجزاته.

فهذه الروايات قد ادرجت ضمن كتب التفسير والمصادر التأريخية وكتب الحديث وباقي مصادر اهل السنة.

المحاور المشتركة في الروايات المهدوية:

بعد القرآن الكريم انعكست وجهات النظر المشتركة لاهل السنة والشيعة في

والمراجع لأهل السنة نلاحظ أن اقدم كتاب يتطرق إلى عقيدة الامام المهدي هو كتاب الملاحم والفتن لمؤلفه الحافظ نعيم بن مروزي المتوفى عام ٢٢٧ هـ ، ومن الشيوخ البخاري وباقي كتب الصحاح. وبعد ذلك استمرت وتيرة الكتابة لهذه المصادر بشكل مباشر وغير مباشر حول المهدي المنتظر (عج) في القرون التالية حيث يوجد اليوم ما يزيد عن ٥٠ كتاباً مستقلاً من علماء اهل السنة حول سيدنا المهدي المنتظر [٣٠].

ويشير الاستاذ محمد علي دخيل في كتاب الامام المهدي إلى اسماء ٢٠٥ كتب من كبار اهل السنة، وقد كتب ٣٠ منهم كتباً مستقلة حول المهدي المنتظر (عج) و٣١ شخصاً منهم خصصوا فصلاً واحداً من كتبهم بروايات المهدي المنتظر (عج) و١٤٤ شخصاً منهم نقلوا روايات الامام المهدي (عج) في كتبهم بما يتناسب مع ذلك. [٣١]

و سنشير إلى جانب من مصادر اهل السنة.

الكتب والمصادر لاهل السنة تنقسم إلى قسمين:

أ- الكتب والمصادر المباشرة: البعض من الكتب التي تم تأليفها بشكل مباشر في موضوع المهدوية وهي عبارة عن:

١- ابو نعيم الاصفهاني (من كبار اهل السنة) ألف ثلاثة كتب وهي (مناقب المهدي) و(طبقات المهدي) وكتاب «الاربعون حديثاً» حول الامام المهدي (عج).

٢- جلال الدين السيوطي المفسر المعروف الف كتابين حول الامام المهدي (عج) وهما «العرف الوردي في اخبار المهدي» و«علامة المهدي».

٣- حماد بن يعقوب الرواجني: الف كتاب «اخبار المهدي» .

٤- ابن حجر العسقلاني الف كتاب القول المختصر في علامات المهدي المنتظر.

٥- محمد بن يوسف الكرجي الشافعي مؤلف كتاب «البيان في اخبار صاحب الزمان».

٦- ملا علي المتقي الهندي: الف كتابي كنز العمال والبرهان في علامات المهدي صاحب الزمان.

٧- علي بن سلطان الهروي الحنفي ألف كتاب المشرب الوردي في اخبار المهدي.

٨- شهاب الدين الحلاوني الشافعي الف منظومة تشتمل على خمسة وخمسين بيتاً حول اوصاف المهدي المنتظر من خلال ما استفاده من الاحاديث النبوية الشريفة وقد اسماه باسم «القطر الشهدي في اوصاف المهدي».

٩- المحدث المعروف محمد البلبيس الشافعي قد الّف كتاباً بعنوان «العطر الوردي بشرح القطر الشهدي» في شرح منظومة شهاب الدين الحلاوني.

١٠- شمس الدين السفاريني النابلسي، الّف كتاب «لوائح الانوار البهية وسواطع الاسرار الاخرية» في شرح ارجوزة في موضوع الامام المهدي المنتظر باسم «الدرة المضيئة في عقيدة الفرقة المرضية» لشمس الدين السفاريني.

ب- المصادر والكتب غير المباشرة والتي خُصص جانب منها بنقل الاخبار المهدوية:

اولت الكتب المعتبرة لأهل السنة اهتماما كبيراً بنقل الاخبار عن المهدوية. وهناك كتب معتبرة في هذا الجانب مثل «مسند احمد بن حنبل» وهو من اهم واقدم الوثائق الحديثية لأهل السنة، وقد اورد ١٣٦ رواية حول المهدي المنتظر، او محمد بن اسماعيل البخاري اورد في كتابه، «الصحيح» في موضوع احاديث الخلفاء الاثني عشر للرسول، وكتاب الانبياء في باب نزول عيسى بن مريم(ع) أورد بعض الروايات في خصوص المهدوية، وكذلك مسلم بن الحجاج النيشابوري اورد في صحيحه في باب خروج المهدي جانباً من الأحاديث.

كما ان ابن ماجة ايضاً ذكر في سننه أخباراً عن المهدوية في كتابه الصحاح في باب خروج المهدي.

وأيضاً محمد بن عيسى الترمذي، اورد في سننه (وهو من الصحاح الستة) اخباراً وروايات عن سيدنا المهدي المنتظر (عج).

مقتطفات مما ذكرته بعض الكتب حول الإمام المهدي:

١- الامام أبو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري (المتوفى عام ٣٢٤هـ) من علماء

والإمام الحادي عشر من الأئمة الاثني عشر. فهو والد محمد المنتظر صاحب السرداب وهو الإمام الثاني عشر من الأئمة الاثني عشر كما يعتقد الشيعة. ويقولون، انه كان في بيت والده في سامراء نزل في السرداب في حين كانت امه في انتظاره ولم يعد بعدها إلى امه وكان عمره آنذاك تسعة اعوام وكان ذلك في عام ٢٦٥ هـ» .

ويذكر آية الله صافي في كتاب «منتخب الأثر في الإمام المهدي» اسماء ٦٥ شخصاً من علماء اهل السنة ممن اشاروا إلى المهدي المنتظر.[٣٢]

ويستفاد خلال دراسة المجالات المذكورة من الروايات ومصادر اهل السنة بأن مسألة ظهور سيدنا المهدي (عج) تحظى بانفاق واجماع المسلمين ومن شأن هذا المحور الاسلامي المشترك أن يشكل اساساً وقاعدة قوية للوحدة الاسلامية.

الفكرة المهدوية عامل أساسي في التكامل الاجتماعي ومحور جديد في الوحدة الاسلامية:

كما أشرنا فإن موضوع المهدوية مسألة فطرية وإنها عقيدة إسلامية ثابتة وقد حظيت بالاجماع الاسلامي. إن الجذور الاساسية الدينية للفكرة المهدوية تاريخياً ودينياً جعلت منها عنصراً قوياً في التكامل الاجتماعي للمسلمين وفي الوحدة الاسلامية.

لا شك ان ظهور المهدي (عج) يأتي لتحقيق الاهداف الاسلامية وتحقيق الوعود القرآنية بتشكيل الحكومة العالمية الموحدة. وعلى اساس النظرية المهدوية يستطيع المفكرون المسلمون تقديم الافكار التطبيقية والمانحة للوحدة في المجالات السياسية والاجتماعية والدينية وترشيد البلدان الاسلامية نحو العمل على اساس الفكر المهدوي المشترك وإعداد المؤسسات الإسلامية الموحدة في الظروف العالمية الجديدة اعتماداً على الاسس الدينية والقرآنية، وتقديمها للبشر واعداد المجال لتحقيق الظروف العالمية للظهور.

الهوامش:

١- البقرة/ ٢١٣.

٢- انسان وايمان ، مرتضى مطهري ، ص ١٨.

٣- قيام وانقلاب مهدي ، مرتضى مطهري ، ص ٤٥.

٤- آينده اديان ، پل تيليخ ، ص ١٢٢.

٥- عهد عتيق ، كتاب مزامير ، مزمور ٣٧ ، آية ١٢ ، ٩ ، ١٧ و ١٨.

٦- تورات ، فصل ١١ ، آيات ١٠ – ٢.

٧- انجيل لوقا ، فصل ١٢ ، آية ٣٦ – ٣٥.

٨- انتظار مسيحا در آيين يهود ، جوليوس كرنيستون (ترجمة توفيقي) ص ١٥.

٩- عقد الدرر، ص ١٥٧. منتخب الاثر، ص ١٤٩.

١٠- التوبة: ٣٩ – الصف ٩.

١١- الأنبياء/ ١٠٥.

١٢- النور /٥٥.

١٣- القصص /٥.

١٤- الأعراف /١٢٨.

١٥- منتخب الأثر، آية الله صافي.

١٦- سنن ابن ماجة، باب خروج المهدي (عج)، ج٢ ، ج ٨٥/ ٤٠. كشف الغمة ، علي بن عيسى اربلي ، ج ٢ ، ص ٤٧٧.

١٧- العرف الوردي جلال الدين السيوطي ، ص ٧٤ و٨٨.

١٨- معاني الاخبار، محمد بن علي بن حسين بن بابويه ، ص ٦١.

١٩- دلائل الامامة ، محمد بن جرير الطبري ، ص ٢٥٨.

٢٠- الحاوي للفتاوي ، جلال الدين السيوطي ، ص٨٨.